بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

أما بعد:

التوكل وما أدراكم ما التوكل،موضوعٌ تقوم عليه حياة العباد، بل يدور عليه إيمانهم، وينطلق منه إسلامهم.

قال الإمام العلامة ابن القيم: «التوكل نصف الدين، والنصف الثاني الإنابة، فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة»(١).

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

قال: «ومنزلته أوسع المنازل وأجمعها» - بل لا يقوم عبدٌ بالعبودية إلا بالتوكل.

قال الإمام ابن تيمية: «المقدور يكتنفه أمران: التوكل قبله، والرضا بعده، فمن توكل على الله قبل الفعل، ورضي بالمقضي له بعد الفعل، فقد قام بالعبودية»(٢).

ولذلك قال الله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].وقال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢]. وقال عن أنبيائه: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ [إبراهيم: ١٢].

(١) مدارج السالكين(٢/ ١١٣).
(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. ص: ١٢٣.



## ما هو التوكل؟ وما هي حقيقته؟

قال الإمام العلامة ابن رجب: «هو صدق اعتماد القلب على الله في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها»(٣).

وقال بعضهم: التوكل التعلق بالله في كل حال.

ولذلك قال سعيد بن جبير: «التوكل على الله جِماع الإيمان»(٤).

ولكن ليُعلم: أن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب، فإن الله أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعةٌ لله، والتوكل بالقلب عليه إيمان بالله.

قال العلامة ابن القيم: «أجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب، فلا يصلح التوكل إلا مع القيام بها، وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد»(٥).

وقال: «فالتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب، ويندفع بها المكروه، فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل، ولكن من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها»(٦).

ولذلك قال: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا»(٧).

أي: تذهب أول النهار ضامرة البطون من الجوع، وترجع آخر النهار ممتلئة البطون.

قال العلامة ابن رجب: «وهذا الحديث أصلٌ

(٣) جامع العلوم والحكم/الحديث التاسع والأربعون.
(٤) كتاب التوكل على الله لابن أبي الدنيا. الحديث رقم: ٥. ص: ٤٧.
(٥) مدارج السالكين. ص: ١١٧.
(٦) مدارج السالكين. ص: ١٢٠.
(٧) الراوي: عمر بن الخطاب. المحدث: الألباني. المصدر: هداية الرواة. الصفحة أو الرقم: ٥٢٢٩. خلاصة حكم المحدث: صحيح. التخريج: أخرجه الترمذي (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤)، وأحمد (٢٠٥) واللفظ له.



في التوكل، وأنه من أعظم الأسباب التي يُستجلب بها الرزق»(٨).

قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: ٣].

ثم قال: «ويدل على أن الناس إنما يؤتون من قلة تحقيق التوكل، ووقوفهم مع الأسباب الظاهرة بقلوبهم، ومساكنتهم لها، فلذلك يتعبون أنفسهم في الأسباب، ويجتهدون فيها غاية الاجتهاد، ولا يأتيهم إلا ما قدر لهم، فلو حققوا التوكل على الله بقلوبهم لساق الله إليهم أرزاقهم مع أدنى سبب، كما يسوق إلى الطير أرزاقها بمجرد الغدو والرواح، وهو نوعٌ من الطلب والسعي، ولكنه يسير».

قال: «وربما حُرم الإنسان رزقه، أو بعضه بالذنب يصيبه».

وفي حديث جابر عن النبي ﷺ أنه قال: «لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حل، ودعوا ما حرم»(٩).

وفي رواية: «إن نفسًا لا تموت حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله، فإن الله لا يُدرك ما عنده إلا بطاعته»(١٠).

وفي رواية: «أجملوا في طلب الدنيا، فإن كلًا مُيسرٌ لما كُتب له منها»(١١).

(٨) جامع العلوم والحكم/الحديث التاسع والأربعون.
(٩) الراوي: جابر بن عبدالله. المحدث: الألباني. المصدر: صحيح ابن ماجه. الصفحة أو الرقم: ١٧٥٦. خلاصة حكم المحدث: صحيح.
(١٠) الراوي: حذيفة بن اليمان. المحدث: الألباني. المصدر: صحيح الترغيب. الصفحة أو الرقم: ١٧٠٢. خلاصة حكم المحدث: حسن صحيح.
(١١) الراوي: أبو حميد الساعدي. المحدث: محمد جار الله الصعدي. المصدر: النوافح العطرة. الصفحة أو الرقم: ١٩. خلاصة حكم المحدث: صحيح. التخريج: أخرجه الحاكم (٢١٣٣).



وفي هذا الحديث دلالة على أن الإنسان إذا توكل على الله حق التوكل فليفعل الأسباب، فإنها مصدرٌ من مصادر الرزق.

ولذلك قال ابن القيم: «ومن صدق توكله على الله في حصول شيءٍ ناله»(١٢).

وتأملوا حال رسولكم وأصحابه قال الله عنهم: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

فكان الجزاء: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

فصدق التوكل يورث الثبات عند الشدائد، كما قال الله: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۖ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

في الصحيحين وغيرهما، قال الصديق ﷺ يوم الغار: «نظرت إلى أقدام المشركين، ونحن في الغار، وهم على رؤوسنا، فقلت: يا رسول الله: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، قال: ما ظنك يا أبا بكرٍ باثنين الله ثالثهما»(١٣).

هنا بذل السبب، وكمال التوكل، والثبات عند الشدائد.

وفي الصحيحين أيضًا: أن رسول الله ﷺ: «قال تحت شجرةٍ في غزا». أي: نام في وقت الظهيرة، «وقد علق سيفه فجاء رجل من المشركين، فاختلط سيف رسول الله ﷺ، ثم قال: تخافني، فاسيتقظ رسول الله ﷺ فقال: لا، فقال: فمن يمنعك مني؟ قال: الله، الله، الله، قال:

(١٢) مدارج السالكين. ص: ١١٢.
(١٣) الراوي: أبو بكر الصديق. المحدث: مسلم. المصدر: صحيح مسلم. الصفحة أو الرقم: ٢٣٨١. خلاصة حكم المحدث: صحيح.



فسقط السيف من يده»(١٤). ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٣].

ولذلك قال ابن عباسٍ كما عند البخاري وغيره: «حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ، حين قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]»(١٥).

فكلما ازداد الإيمان زاد التوكل، كما قال الله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢] ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ﴾ [إبراهيم: ١٢].

بل من السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حسابٍ، ولا عذاب: «هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون»(١٦). متفقٌ على صحته.

بل تأملوا قول النبي ﷺ في دعاء الاستخارة: «اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم»(١٧).

قال العلامة ابن القيم: «فهذا توكلٌ وتفويضٌ».

ثم قال: «فإنك تعلم ولا أعلم، وتقدر ولا أقدر، وأنت علام الغيوب».

(١٤) الراوي: جابر بن عبدالله. المحدث: البخاري. المصدر: صحيح البخاري. الصفحة أو الرقم: ٢٩١٠. خلاصة حكم المحدث: صحيح.
(١٥) الراوي: عبدالله بن عباس. المحدث: البخاري. المصدر: صحيح البخاري. الصفحة أو الرقم: ٤٥٦٣. خلاصة حكم المحدث: صحيح. التخريج: من أفراد البخاري على مسلم.
(١٦) الراوي: عبدالله بن عباس. المحدث: البخاري. المصدر: صحيح البخاري. الصفحة أو الرقم: ٥٧٠٥. خلاصة حكم المحدث: صحيح.
(١٧) الراوي: جابر بن عبدالله. المحدث: الألباني. المصدر: صحيح النسائي. الصفحة أو الرقم: ٣٢٥٣. خلاصة حكم المحدث: صحيح. التخريج: أخرجه البخاري (١١٦٦)، وأبو داود (١٥٣٨)، والترمذي (٤٨٠)، والنسائي (٣٢٥٣) واللفظ له، وابن ماجه (١٣٨٣)، وأحمد (١٤٧٠٧).

قال: «فهذا تبرؤ إلى الله من العلم والحول والقوة، وتوسل إليه سبحانه بصفاته التي هي أحب ما توسل إليه بها المتوسلون»[١٨].

ثم سأل ربه أن يقضي له ذلك الأمر إن كان فيه مصلحته عاجلًا أو آجلا، أو أن يصرفه عنه إن كان فيه مضرته عاجلًا أو آجلا، فهذا هو حاجته التي سألها فلم يبقَ عليه إلا الرضا بما يقضيه له، فقال: «واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به»[١٩].

فهذا الدعاء اشتمل على هذه المعارف الإلهية، والحقائق الإيمانية، التي من جملتها التوكل والتفويض قبل وقوع المقدور، والرضا بعده، وهو ثمرة التوكل، والتفويض علامة صحته، فإن لم يرضَ بما قضي له فتفويضه معلول فاسد، فالتوكل: التعلق بالله في كل حال.

روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»[٢٠].

يقول ابن القيم عليه ﷺ: «هذا الحديث مما لا يستغني عنه العبد أبدا، بل هو أشد شيء إليه ضرورة، وهو يتضمن إثبات القدر والكسب والاختيار، والقيام بالعبودية ظاهرًا وباطنا في حالتي حصول المطلوب وعدمه»[٢١].

فتضمن هذا الحديث أصولًا عظيمةً من أصول الإيمان.

يقول ﷺ: «المؤمن القوي». أي: القوي في إيمانه، لأن القوي تعود إلى الوصف السابق وهو (الإيمان)،

(١٨) مدارج السالكين. ص: ١٢٣.
(١٩) تقدم تخريجه.
(٢٠) الراوي: أبو هريرة. المحدث: مسلم. المصدر: صحيح مسلم. الصفحة أو الرقم: ٢٦٦٤. خلاصة حكم المحدث: صحيح.
(٢١) حديث القوة. انظر: "شفاء العليل" (١٩)، و"تيسير العزيز الحميد" (٦٧٨).



والله ﷻ لا ينظر إلى الأجساد، فالمؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وهذا فيه دلالة على وصف الله بالمحبة، وأنها حقيقية، وأن محبته للمؤمنين تتفاضل، فالمؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خير، فالمؤمن كله خير.

ثم قال: «احرص». وهو بذل الجهد واستفراغ الوسع. «احرص على ما ينفعك». وفي هذا وجوب الابتعاد عن الضار، فالخير كله في الحرص على ما ينفع، ثم قال: «واستعن بالله». فإذا كنت عاقلًا وحرصت على ما ينفع، فاحذر الاغترار بالنفس، والاعتماد عليها، ولكن استعن بالله في جميع أمورك، لأنك كثيرا من الناس إذا وُفق في الأعمال ترك الاستعانة بالله، خاصةً في أمور الدنيا، وقد يكون لسان حال البعض ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨].

ثم قال: «ولا تعجز». أي: استمر في العمل، فما دمت بدأت الأمر النافع، واستعنت بالله فلا تعجز، لأن العجز ينافي حرصه على ما ينفعه، وينافي استعانته بالله، فهذا إرشادٌ له قبل وقوع المقدور إلى ما هو من أعظم أسباب حصوله وهو الحرص عليه مع الاستعانة بمن زمة الأمور بيديه.

ثم قال: «وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا».

وهذه هي المرتبة الرابعة: وهي حصول خلاف المقصود.

فالمراتب أربع:

الأولى: الحرص على ما ينفع.

والثانية: الاستعانة بالله.

والثالثة: المضي في الأمر، وعدم العجز. هذه المراتب كلها ترجع إلى الإنسان.

وأما المرتبة الرابعة: إذا حصل خلاف المقصود فهذه ليست إليك، هي بقدر الله، ففوض الأمر إلى ربك.



قال ابن القيم ﷺ: «فإن فاته ما لم يُقدر له». أي حصل خلاف المقصود. فله حالتان: حالة عجزٍ، وهي مفتاح عمل الشيطان، فيلقيه العجز إلى لو، ولا فائدة في لو هاهنا، بل هي مفتاح اللوم والجزع والسخط والأسف والحزن، وذلك كله من عمل الشيطان، فنهاه ﷺ عن افتتاح عمله بهذا المفتاح، وأمره بالحالة الثانية: وهي النظر إلى القدر، وملاحظته، وأنه لو قُدر له لم يفت، فلم يبق له هنا أنفع من شهود القدر، ومشيئة الرب النافذة التي توجب وجوب المقدور، فلهذا قال: «فإن غلبك أمرٌ فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل»[٢٢].

فأرشده إلى ما ينفعه في الحالتين:

- حالة حصول مطلوبه.

- وحالة فواته.

فالحرص صدق النية، وعدم تكاسل العزيمة، وهذا حقيقة التوكل، وهو مفتاح الخير، ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١].

قال شقيق: «كنت شاعرا فرزقني الله التوبة، وخرجت من ثلاثمائة ألف درهم، ولبست الصوف عشرين سَنة، ولا أدري أني مراءٍ حتى لقيت عبد العزيز بن أبي رواد، فقال: ليس الشأن في أكل الشعير ولبس الصوف، الشأن أن تعرف الله بقلبك، ولا تشرك به شيئا، وأن ترضى عن الله، وأن تكون فيما يدي الله أوثق منك بما في أيدي الناس»[٢٣].

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من المتوكلين عليه حقاًو يفقهنا وإياكم في ديننا، كما نسأله ﷻ أن يحفظ بلادنا وبلاد المسلمين من كل سوء وفتنة، نسأله ﷻ أن يوفق ولاة أمورنا لما يحب ويرضى، وأن يرزقهم البطانة الصالحة، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار،

(٢٢) تقدم تخريجه.
(٢٣) سير أعلام النبلاء. الجزء رقم: ٩.



وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سلسلة مطويات شبكة بينونة

# التوكل

## وما أدراكم ما التوكل

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE

الشيخ
د. محمد بن عبد الله الخضيري